الالسن سوى بذكر الاصابات الواقعة في الاسكندريّة . ونسأل الله الّا يبتلي عباده بهذا الداء العقام

امّا بلاد الشام وآسية الصغرى فان الطاعون وفد عليهما مرارًا في القرون الماضية وقد دفع الله عنهما اذاهُ منذ سنة ١٨٣٩ . وكذا انقطع الوباء عن بلاد المغرب والجزائر مع فشوهِ مرّتين في طرابلس الغرب

ومن البلاد التي امتحنها الله قريبًا بالطاعون بلاد العجم في جنوبي جزيرة العرب وفد عليها الوباء في السنين ١٨٥٣ , ١٨٧٤ , ١٨٧٩ , ١٨٨٩ وكذا يُعدّ العراق العربي وشرقي ما بين النهرين كنواحٍ موبوءة توالت عليها فتكات الطاعون . وقد شنّ الغارة مرارًا على بغداد مدينة السلام

قال المسيو تولوزان ان مركز الطاعون الاصلي في القسم الاعلى من حوض الفرات يدخل في حيزهِ بلاد العجم كما اثبتت ذلك اللجنة العثمانيّة . والاقليم المصاب بهذه البليّة العظمى اكثر ممّا سواهُ اقليم اذربيجان جرف الطاعون اهلهُ في السنين ١٨٦٣ و ١٨٧٠ ١٨٧٢ و ١٨٧٨ و ١٨٨٥ ثمّ يتلوهُ خراسان ثم كردستان

ومن اقاليم الصين الموبوءة عادةً اقليم اليونّام ومركز الوباء في ياخوي احدى عواصمه . ومنها صدر طاعون سنة ١٨٩٢ ودخل كانتون فقتل من سكانها ١٨٠,٠٠٠ نفس وسار من ثمّ الى شمالي غربي الهند فانخلعت لظهورهِ القلوب وهو لا يزال منذ ثلاث سنين ينشر في بمباي لواء الموتان

هذه نبذة موجزة تنبئنا بتاريخ الطاعون واعمالهِ الغير المشكورة وهي تبشّرنا بالويل والثبور اذا ما تغاضينا عن سدّ باب اقطارنا في وجههِ واذا لم نتّخذ الوسائل الفعّالة في قطع دابرهِ وهو العدوّ المشؤوم الذي يعمل في الامصار عمل السيف البتّار فلا يُرعوي الّا بعد اخلاء الديار وتعمير القبور بنفوس الاحباب والذراري

وفي مقالة ثانية سنستوفي الكلام ان شاء الله عن تعريف الطاعون وخواصهِ وكيفيّة سريانهِ والوسائل التي تعرف حتى الان لدفع بلائهِ (ستأتي البقيّة)

شهيد العلم

بقلم محمّد ابي عزّ الدين كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافية في جبل لبنان

عثرت في احدى المجلّات الاجنبيّة على طرفة من سيرة المقدام الطيب الأثر الدكتور

هرمان مولر النمساوي مكتوبة بقلم الشهم الوفي أبيناه من مكان قبته فنقلتها الى العربية مقتفيًا اثر كاتبها ملتزمًا مساق كلامه غير منحرف عنهُ او متصرف بشيء منهُ الّا حيث اقتضى المقام الربط بين مواصل الكلام او جاء استطرادًا والاصل لا يخلو عن معناه

قال الشهم المنوَّه بهِ: لمَّا كان الطاعون منذ سنتين فاشيًا في بلاد الهند استقرَّت آراء الاعضاء بالمجمع العلمي في ڤينا على ايفاد بعثة مؤلفة من اطباء نمسويين الى بمباي للوقوف على ماهية هذا الوباء الهائل واختاروا رئيسًا لهذه البعثة الدكتور فرانز هرمان مولر (Dr Franz Hermann Müller) الطبيب في المستشفى العمومي واحد الاساتذة في كلية ڤينة وعمره اذ ذاك زهاء ثلاثين سنة وقد طارت شهرتهُ في هذا السنّ بعلمهِ وخبرتهِ بالكليفيك وكان الطلبة عمومًا والانكليز والاسركان منهم خصوصًا يتزاحمون ويتسابقون الى سماع خطبهِ في الطب الباطني وفضّلوهُ على غيرهِ لانهُ انتقى احسن اساليب التعليم وتوخّى اقرب الموارد تناولًا لفهمهم في كليفيك المستشفى. وكان في مهنتهِ مثالًا للاستقامة وفي مراعاة واجباتهِ عنوانًا للامانة. وفضلًا عن ذلك كلهِ فانهُ كان يرأف بالمرضى الفقراء ويعطف ويحنّ عليهم رأفةً وعطفًا وحنانًا اجتنى بديلها شغفًا بهِ واخلاصًا لهُ واكرامًا

ولمَّا دعوهُ ليتولَّى رئاسة البعثة الموما اليها لبَّى هذه الدعوة الغارّة غير متردّد عن قبولها مع ما هنالك من التعرّض للخطر والتهلكة

وسافر رجال البعثة المذكورة الى بمباي واقاموا هناك مدة ثلاثة اشهر اتوا في خلالها اعمالًا مجيدة وامتاز رئيسهم المشار اليهِ بجرأتهِ وإقدامهِ. وكان كلّما سنحت لهُ فرصة بادر الى المغاير لمعاينة المصابين فيها باشدّ ما يكون من اصابات الطاعون غير متهيّب الخطر المستجنّ بهِ ولم يعرف الراحة في جميع اوقاتهِ ولم يطلب التزهة. وهكذا تسنّى لهُ ان يشاهد في تلك المدّة القصيرة اكثر من الف مطعون في منازلهم وعلى فُرُشهم ودوّن معلوماتٍ وافية عن كثير من الحوادث التي عاينها وحقّقها. ولمزيد رغبتهِ في الوقوف على ماهية هذه الضربة الهائلة شارك زملاءهُ في تشريح عشرات من جثث الذين ماتوا بالطاعون استجلاءً لما خفي عليهم من امرهِ

وبعد ذلك تقفل الاطباء الموما اليهم راجعين الى بلادهم مستصحبين كمّيّة من

باشلوس الطاعون وكتبوا تقريرًا وافيًا بما رأوهُ في بياي وارتأوهُ بخصوص الطاعون. وقدَّموا تقريرهم هذا الى المجمع العلمي في ڤينة فعهد اليهم ان يختبروا مفعول الباشلوس المذكور بالحيوان ليتحققوا كيف تدخل جراثيم الطاعون الاجسام وليبحثوا عن الوسائل التي تقي الناس شرّ هذا الوباء. واختصُّوهم بمحل في دار الباثولوجيا بالمستشفى العام للتجربة والاختبار وسموه « محلّ الطاعون » ووفَّروا لهم المعدّات والشروط الصحيَّة وكمَّلوها ولم يعوزهم شيء من التدابير اللازمة للوقاية وعيَّنوا خادمًا مرافقًا لهم اسمهُ « باريش » خصُّوهُ بواجبات اهمّها ان يعلف الحيوانات المدَّة لاجراء الاختبار وينظّف المحل المذكور والأقفاص وان ينظّف ايضًا الادوات المستعملة ويطهّرها ويحرق الجيَف. وقد أفهم هذا الخادم خطارة وظيفته ففهم وعرف واجباتهِ واتمَّها بكمال الدقَّة وقد رافق النجاح عملهم مدَّة سنة اختبروا في خلالها امورًا كثيرة وحقَّقوها. ومع ان الخطر كان يعترضهم غالبًا لم يَنلهم اذى لشدَّة حذرهم ومبالغتهم في التحوُّط وما لبثوا بعد ذلك ان استخفُّوا الخطر لتعوّدهم ملاقاتهُ واصبح باريش متوانيًا غير مكترث بعملهِ وأغفل امورًا لم يكن بدٌّ منها ولا غنى عنها في هذه الاحوال حتى ادَّى بهِ التهاون الى المرض فبدت عليهِ يومًا اعراض تشفّ عن التهاب في الرئتين فجيءَ بهِ الى المستشفى واحضروه الى كليفيك الاستاذ نوثناجل (Nothnagel) وفيهِ كان الدكتور مولّر المرما اليهِ معاونًا اول للاستاذ فباشر اني المعاون فحصَ الخادم ولم يتبيَّن حقيقة مرضهِ بل اشتبه بهِ وهذا الاشتباه دعاهُ الى تكليفهم نقلهُ الى غرفة منفردة وعُني هو بملاحظتهِ بمزيد الدقة. فجاءت نتيجة الملاحظة وَفق ظنهِ وهو ان الخادم مصاب بالطاعون وعليهِ فحص دمًا من دم هذا المريض فحصًا بكتيريولوجيًا ازال ارتيابهِ اذ وجد فيهِ باشلوس الطاعون

ولم يكن الدكتور مولّر ليلَ ملازمة هذا المريض و بعد اتمامهِ الفحص المارّ ذكره زاد اهتمامهُ بهِ ولم يفارقهُ الّا نادرًا حتى انَّهُ انقطع عن التدريس وإلقاء الخطب ووكلَ الى زملائهِ عيادة مرضاهُ وقد بلغ انعطافهُ عليهِ درجةً نسي معها أحيانًا ان يأكل. وكان يبقى في غرفة العليل من الصباح حتى نصف الليل باذلًا كلَّ ما في وسعهِ لهذا الشاب وقد فعل ما فعل وهو على يقين من ان باريش مطعون ولا رجاء بشفائهِ البتَّة. وقال لاحد زملائهِ بعد حين « ان الطاعون اذا تمكَّن من امريءٍ خاب الرجاء بالنجاة منهُ

ولقد شاهدتُ في الهند مئات من الحوادث التي تشبه حادثة باريش وبها عرفت ان قد حانت منيَّتهُ . وبالنظافة التامة قد تُتَّقى العدوى بعض الاتقاء. امَّا اذا نشبت في الجسم فلا بُرءَ منها ولا خلاص من شرك المنيَّة

ودام مرض باريش اربعة أيام ثم مات وحذرًا من ان يلمس احد جثتهُ تولى الدكتور مولر نفسهُ تكفينه فلفَّهُ بكفن بعد ما بلَّه بمحلول السليماني ثم رفعهُ من عن فراشهِ ووضعهُ في النعش وطلاهُ بالقير وشدَّ الغطاء واخرج النعش من الغرفة ثم باشر تطهيرها فاحرق كل ما كان فيها قابل الاشتعال وقلع ألواح الخشب التي كانت بارضها واشعلها وغمر كل ما لم يحترق بموادَّ ماضة العدوى ولم يكتفِ بذلك بل تناول قطعة زجاج وعمد الى حيطان الغرفة وسمائها فكشطها بها

وفي اثناء مرض باريش خالطهُ اثنتان من المرضات تناوبتا مع الدكتور مولر على خدمتهِ وبعد موتهِ وضعوهما في مكان منعزل وجعلوهما قيد المراقبة الطبيَّة وثاني يوم موته تصاعدت حرارة احداهما «ألبين بيخا» البالغ عمرها اثنتين وعشرين سنة وارتفعت درجتها كثيرًا ومع ان اعراض المرض لم تكن باديةً عليها استصوب الاطباء نقلها الى المستشفى المخصَّص بالامراض الوافدة في خارج ثينة لاسباب العزلة اذا اعتراها المرض وقد أختير الدكتور مولر ليرافقها في عربة من عربات المستشفيات وليهتمَّ بها وبمداواتها

ولمَّا وصلوا الى المستشفى اختارت الفتاتان غرفة من غُرف المأوى المعدَّ لحوادث العدوى الخطيرة واقام الدكتور مولر في غرفة مثلها وفي غيرهما اقامت راهبتان من راهبات الشفقة المرضات وتنحَّوا كلهم عن المخابرة مباشرةً مع ايٍّ كان

امَّا المأوى المذكور فهو بناء قائم الزوايا كائن في حديقة المستشفى يشتمل على اربع غرف كل غرفة منها معدَّة لشخص واحد وفيها حمَّام ومحلٌّ للتطهير من العدوى هذا فضلًا عن غرفة المرضة وكل غرفة من هذه الغرف مستقلَّة عن الاخرى ولها مدخل مستقلّ ومنع المرضى من مخالطة بعضهم بعضًا او مخالطة غيرهم من القائمين بادارة وخدمة المستشفى . وجعلوا حول البناء المذكور حبلًا كحدٍّ لم يؤذن حتى لاطباء المستشفى ان يتعدَّوهُ وبالغوا في التحوُّط بتقديم الاكل لهؤلاء المعتزلين في المأوى المحكيِّ عنهُ فكانت احدى الراهبات تأتي وتدقّ الشبَّاك وتتقهقر فتجيء احدى الراهبتين الموجودتين

داخلا وتفتحهُ وتضع صحوناً على عتبته الخارجيَّة ثم تغلقهُ فتعود الراهبة الاولى وتصبّ في تلك الصحون الطعام التي جاءت به وتنطلق قبل ان يتناولوهُ من الداخل وعلى هذا النمط تمشوا في إدخال الادوية وما شابهها الى المأوى

وكان الدكتور موكر اذا اراد ان يصف لمدير المستشفى حالة المرضى او يخابر احداً في الخارج تناول ورقة وكتب عليها بحروف كبيرة ما عنَّ لهُ ثم طنَّ الجرس مستدعياً واحداً من خدمة المستشفى ووقف هو عند الشباك والورقة في يدهِ فيجيء الخادم ويقف على بُعد معيَّن ويكتب ما يراهُ مكتوباً على تلك الورقة ويسلّمهُ الى الشخص المرسل اليه. اما وصفات العلاج التي كان يصفها الدكتور موكر فتُنقلت بواسطة طبيب من اطباء المستشفى على النحو المار بيانهُ

قلنا ان الدكتور موكر والممرّضتين وصلوا الى المستشفى وكان وصولهم اليه عند الظهر ولشدَّة اهتمام الدكتور بهاتين الممرّضتين زارهما بعد الظهر مراراً فرأى ان احداهما على غاية ما يرام اما الاخرى وهي « ألين بيخا » فكانت دلائل الحمّى ظاهرة في جسمها وكلما فحصها مرَّة وجد درجة حرارتها في صعود مستمر وعند المساء ساءت حالها حتى اضطرت الى ملازمة سريرها. وحينئذٍ ثبت عند الطبيب ان تلك الفتاة الفقيرة قد سرت اليها العدوى واصابها الطاعون. وكانت قبل ذلك بساعات قليلة مثلاً يتمثَّلون بها من حيث كمال الصحة . وبالرغم عن احتياج الدكتور الى الراحة بعد التعب المتعب ابى ان يفارق الفتاة وبقي عندها حتى ارخى الليل سدولهُ وكان يعتقد انَّ واجباتهِ تقضي عليه باستنفاد كامل جهده في خدمتها ولو كان من المقرَّر عندهُ ان شفاءها مستحيل ولن الحذق الطبي لا يجدي وقتئذٍ نفعاً

ولمَّا درت الفتاة بدنو اجلها فاضت دموعها وتحدَّرت عبراتها واجهشت بالبكاء. فاقبل الدكتور موكر وجلس على طرف سريرها وقد رقَّ لها قلبهُ واخذ يسلّيها بكلام صادر عمَّا في نفسهِ يمتزج مع القلوب وينفّس الكروب

واذا علمتَ حال الفتاة حكمت انها جديرة بإجازة الغصَّة بحقيقة بافضل تعزية فانها كانت متَّفقة مع احد ارباب الاطيان المثرين في بلاد ايرلاندا على ان تكون ممرّضة ملازمة لهُ بشروط حسبتها في غاية المناسبة لظروف حالها ولم يكن باقياً من مدَّة خدمتها في المستشفى الَّا ايام قلائل عوَّلت بعد انقضائها على السفر الى بلاد المثري الموما اليه .

ولكن ما ابرقت اسرة هذه الفتاة التي ربيت في مهد الفاقة وشبت فقيرة وما بزغت شمس آمالها حتى فاجأها الطاعون الوبيل وهي تباشر في ثينة خدمة جليلة تستحق بها الثواب الحقيقي فسطت على جسمها جرثومتهُ الخبيثة

ولم يفارق هذا الطبيب الامين تلك الفتاة المطعونة حتى حال دونهُ دنو اجله كما سترى وبينما هو عائد الى غرفتهِ اصابتهُ قشعريرة وارتجف جسمهُ وصرَّت اسنانهُ فخاطب نفسهُ متجلدًا قائلًا « إنْ هذا الّا نتيجة البرد القارس بليالي تشرين الاوّل ». ثم احسَّ بان قواه قد انتهكت كأنهُ مشى طول النهار فناجى نفسهُ قائلا « لا غرو ان اعياني التعب ففي الليالي الاخيرة لم أَنم الّا قليلًا وفي النهار كان حظي انشغال الفكر والقلق »

ولمَّا انتهى الى السلَّم المؤدي الى غرفتهِ ووضع قدمهُ على الدرج كاد يسقط على الارض فاشتكى حينئذٍ قائلًا : « حالة مستغربة وانا لم يصبني الدوار مطلقًا أترى هذا المرض يدهمني انا ». ثم دخل غرفته وفيما هو نازع الى خلع ردائهِ خطر لهُ ان يكتب الى والديهِ تسكينًا لروعهما وجلس على كرسيهِ وكتب مستعجلًا تذكرة قال فيها « من الجبن ان يتنحَّى الطبيب في ظرف حرج كهذا ويتقاعس عن اقام واجبات مهنتهِ ». وكتب ايضًا ان صحَّتهُ على ما يرام وانهُ يرجو ان يراهما باقرب وقت (التتمَّة للعدد القادم)

الوسائط التجاريَّة الخصوصيَّة

للشاب الاديب عبد الله رزق الله شارّ احد مأموري سيَّة ولاية بيروت الجليلة

ذكرنا في ما سبق (٢ : ٤١٥) شيئًا من مسهّلات التجارة ووسائلها العمومية ففي هذه النبذة التالية نورد ما سنح لنا من الوسائط التجاريَّة الخصوصيَّة

١ً (الشركات التجاريَّة) هي ان يجمع اشخاصٌ متعدّدة رأس مالهم واقتدارهم وغيرتهم ومقصدهم في نقطة واحدة للحصول على نتيجة عظمى يعجز عنها كلٌّ لوحدهِ . واصول الشركة وان كانت قديمة العهد لجديرة بان تُعدّ من مخترعات هذا العصر الأنور لبلوغها في يومنا الدرجة القصوى من الكمال والترقي . فأينما سرَّحت النظر ترى منها آثارًا تأخذ بالبصائر والابصار من انشاءات جسيمة واعمال عظيمة لولا الشركات لبقيت بلا شكّ في عالم العدم

ولا ننكر انَّ الاقدمين قد أتوا بالاعمال العظيمة والشروعات الجسيمة دون